بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أختي المسلمة، سلامٌ عليكِ ورحمة الله وبعد :

هل تسمحينَ بسؤال؟... بل هل تسمحين بأسئلة؟..

أختاه ما دهاكِ؟.. وما خبرُكِ؟.. ما هذا اللّباس الذي تلبسين؟.. وما هذا الزّي الذي به تَتَزَيَّنِ؟..سروالٌ! ... وضيّقٌ! بل ومكفوف!.. أو خصرٌ بالضّيِّق من الثّياب ملفوف!.. أو شعرٌ من الخمارِ عارٍ ومكشوف!..

أين الخمار؟.. أين الحجاب؟.. أين الجلباب؟..

أختاه!... تتبرّجينَ ليراكِ النّاس؟!.. وتبتهجينَ بفتنتِهم بهذا اللّباس؟!.. وتفرحين إذا التَفَتَتْ إليك الأبصار؟!.. وتتابعت إلى سوأتِك الأنظار؟!.. أفٍّ لكِ... أينَ أنتِ عن الله الذي يراكِ تلبسينَ ما نهاكِ عنه ؟!.. أليس لكِ ولبنات جنسك قد قال ﷻ: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾[الأحزاب :٣٣]؟!.. وأين أنتِ عمّن حذّرك من اتّباع خُطوات الشّيطان حين قال ﷻ: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ﴾ [الأعراف:٢٧] ؟.. أين أنت عن البصير الخبير؟!..

أما تخافينَ عذابَه؟.. أما تخشَينَ عقابَه؟.. أما تهابين حسَابه؟.. أَمْ أنَّ الدّنيا غَرَّتكِ؟.. وفي أوديتِها أَرْدتكِ؟.. وبحبالِها أوثَقَتكِ؟.. ركنتِ للدّنيا الفانية!.. وطمِعتِ فيما يزول!.. وغفَلت عن الآخرة الباقية!.. وانشغلت بما يحول!.. ونَسيت يوماً سيطول ويطول و يطول!..

أختاه!..أمَا تحبّين رسول الله ﷺ ؟!.. إن كنتِ تحبِّينَه فِعلاً، وتعظّمينَه صِدقاً، فأين الحجابُ الذي أمركِ به؟.. وأين الحياءُ الذي حَضّكِ عليه؟ وقديما قيل : إنّ المحبّ لمن يحب مطيعا.

أَفَيُرضيكِ ـ لو أنّه ﷺ بُعث من قبره ـ أن يراك على هذا الوضع المُزري؟!.. والواقع المخزي؟!.. تصوَّري هذا بخيالكِ، ثمّ افعلي ما بدا لكِ! ..لكن تذكّري ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنّه قال: « كلّ أمّتي يدخلون الجنّة إلّا من أبى » ، قالوا : يا رسول الله!

ومن يأبى؟ قال: « من أطاعني دخل الجنّة، ومن عصاني فقد أبى » [رواه البخاري في صحيحه]، هذا وقد قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٣٦].

أختاه!... أيسرُّك لو أنّ مَلَكَ الموتِ نزل الآن إليكِ، وهجم السّاعةَ عليكِ، ليستلَّ الرّوح من الجسد المفضوح السّافر، والبدن الظّاهر؛ فتلقَيْنَ الله ﷻ وأنتِ بلباسكِ المتهتِّك، أو حجابكِ المتبرّج؟.. أما تخافين من سوء الخاتمة؟.. أما تهابين من قبح العاقبة؟.. والمرء يُبعث يوم القيامة على ما مات عليه، ثمّ يحاسب كلٌّ بما قدّم من الأعمال بين يديه .

فيا لهفَ نفسي!.. كم من مخذولةٍ طغت وتعدّت حدود الله؟ وكم من مفضوحة في يوم لقاء الإله؟.. قال ربّكِ ﷻ: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٨١] .

أختاه!.. تُرى.. بمن تقتدين في هذا التّبرّج، وبمن تَتَأَسَّيْنَ؟ بخديجة وعائشة وحفصة وغيرهنّ من أمّهات المؤمنين؟!.. أم بزوجات أصحاب خيرِ المرسلين؟!.. أم بنساء أتقياء التّابعين؟!.. أم بالحافظات لما أمر به ربُّ العالمين؟!..

أم أنَّك تَتَأَسَّيْنَ بالفاسقات العاصيات من الكافرات؟.. أم بالمنحرفات الفاجرات من الممثّلات؟.. أم بالمائلات المميلات من المغنيات؟.. أم بالضّائعات التّائهات الحائرات؟!..

فبئس من بهنّ تأسَّيتِ ... وبئس من بهنّ تشبّهتِ، قال نبيّكِ ﷺ : « و من تشبّه بقوم فهو منهم » [صحيح أبي داود].

ولا يخفاكِ ـ هداكِ الله ـ أنَّ التّشبُّه في الظّاهر دليلُ التّعلّق والمحبّة ـ لمن تشبّهتِ به ـ في الباطن، و رسوله ﷺ يقول: « المرء مع من أحبّ يوم القيامة » [متفق عليه]، فاختاري أخيّتي الرّفيقَ في الطّريق، والموعد يوم القيامة!.. قال الله ﷻ: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٣].

أختاه!.. أين أنت من نساءِ الأنصار؟.. وقد حَدّثتْ عنهنَّ أمّ سلمةَ رضي الله عنها فقالت:« لمَّا نزلت آية: ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب:٥٩]،

خرج نساءُ الأنصار كأنّ على رؤوسهنّ الغربان من الأكسية!! » [صحيح سنن أبي داود].

أين أنت من نساءِ المهاجرين؟.. وقد حدّثتْ عنهنّ عائشة رضي الله عنها قالت:« يَرحم اللهُ نساءَ المهاجرات الأُوَل، لمَّا أنزل الله: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ [النور:٣١]، شقَقْن أكنُفَ مرُوطهنَّ فاختمرن بها!! » [صحيح سنن أبي داود].

عجبًا وألفُ عجبٍ!!.. أتستوي المتستِّرة مع المستهترة؟!.. والمحجّبة مع المتفرنجة؟!.. والتّقيَّة مع الشّقيَّة؟!.. كلّا وألف كلّا.. تالله لا تستويان، لا في الدّنيا ولا يوم يُبعثان!..

أختاه!.. أتعلمين أنَّ المتبرّجةَ السّافرةَ فاشلةٌ سافلةٌ؟.. مهزوزة الشّخصيّة، مطموسةُ الهويّة، لا تعتزُّ بدينها، ولا تفتخرُ بعقيدتها، تشعر بدناءة نفسها، وتحسّ بضعف ثقتها بذاتها، فتحاول ستر فشلها بسوءِ التّبرُّج والسّفور، وتغطية عيبها بحبّ الظّهورِ، وكم قُصِمت بهذا من ظُهورٍ وظُهورٍ؟!..

فأين هي ـ أسفاً عليها ـ من تلك الواثقةِ بطريقها، المُعتزَّةِ بدينها، والمستمسكةِ بأمر ربِّها؟!.. فواسعداً لها!!.. لقد جعلتْ الحجابَ مبدأً تعيشُ عليه، لا يُمكنها التّنازلُ عنه، وقضيةً تناضلُ من أجلها، لا يمكنها التّخلي عنه، فكيف تتساوى مع من تتهاوى ـ في كلِّ يوم ـ تحت أقدام أعدائها، يحرّفونها عن مسارها كيفما أرادوا، وهي سامعةٌ مطيعةٌ، خاضعةٌ ذليلةٌ، لا رَأْيَ لها أو قرار، ولا فكرَ لها أو خيار؟!..

قال الله ﷻ: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك:٢٢].

أختاه!.. لعلّكِ تعتقدين التّبرج حضارةٌ، و مسايرةٌ للتّقدّم وشطارةٌ؟!.. فآهٍ من خدعةٍ ما كنت أظنّها تنطلي عليكِ، وآهٍ من شبهةٍ ما حسبتُها تَنعَمي عليكِ.. بل كوني على يقينٍ أوَّلاً : أنّ التّبرّج عودةٌ للعصور الهمجيّةِ، ورجوعٌ لمستنقع الجاهليّةِ، بذا جاء النّهي الصّريح في كتاب الله تعالى عن النّكوص على الأعقاب، والرّجوع لزمن الوحوش والغاب فقال ﷻ: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب:٣٣]، فهل ترضَين بأن تُوصفي بالجاهليّة؟.. أو

تُنسبِي إلى العصور الحجريّة؟.. ألا فانتبهي من مكر الأعداء، واحذري من كيد الشّيطان..

ثمّ كوني على يقينٍ ثانياً : أنّ الرُّقي والتّقدم إنّما هو في التّمسُّك بالآداب الشّرعيّة، والقيم الإيمانيّة، وإلاّ فإنّها الجاهليّة الأُولى، واللّوثة الكُبرى، والنَّكسة الأخرى؛ ومن أجلِ هذا تَركَتْ كافراتٌ من بلاد الغرب التّقدم المزعوم، واعتنقت دين التّقدم المحتوم فامتثلت قول الباري ﷻ: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب:٣٣].

أختاه!.. أوَ هكذا؟.. ترضينَ بكلّ سهولةٍ ويُسرٍ بالحرمان من الجنّة العالية، لنزوةٍ زائلةٍ، ونشوةٍ عاجلةٍ، تمضي سريعاً، وتُبقي صريعا؟!..

أوَ ما طرقَ سمعك ما رواه أبو أذَينَة الصَّدَفِيّ رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: « شرُّ نسائكم المُتبرِّجاتُ المتخيّلات، وهنَّ المنافقات، لا يدخل الجنّة منهنَّ إلّا مثلُ الغراب الأعصم » [رواه البيهقي في سننه وهو في السّلسلة الصحيحة]، وهو غرابٌ نادرٌ في رجلِه ومنقارِه لونٌ أحمر، أراد ﷺ: قلّة من يدخل الجنّة منهنّ لأنّ هذا الوصف في الغربان عزيز؛ فإن لم يكفِك هذا فخُذِي ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « صِنفانِ مِن أهلِ النّار لم أرَهُما، قومٌ معهُم سياطٌ كأذنابِ البقرِ يضرِبُونَ بها النّاسَ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، مُميلاتٌ مائلاتٌ، رُؤوسُهنَّ كأسنمةِ البُختِ المائلةِ لا يدخلنَ الجنّةَ، ولا يجدنَ ريحهَا، وإنَّ ريحها ليُوجدُ مِن مسيرةِ كذا وكذا » . [رواه مسلم في صحيحه]؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وقد فُسّر قوله: « كاسياتٌ عارياتٌ » بأن تكتسي ما لا يستُرها، فهي كاسيةٌ، وهي في الحقيقة عاريةٌ، مثل أن تكتسي الثّوب الرّقيقَ الذي يَصِفُ بِشْرتها، أو الثّوب الضّيّقَ الذي يُبدي تقاطيعَ خِلقتها، مثل عجيزتها [خصرها] وساعِدها ونحو ذلك، وإنّما كِسوة المرأة ما يسترها، فلا تُبدي جِسمها ولا حجم أعضائها لكونه كثيفاً واسعاً » [من مجموع الفتاوي]، فيا له من حرمانٍ موجع، و يا لهُ من غبنٍ مفجع!.. قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الزمر:١٥] .

أختاه!.. أعيدُ فأسأل ثانيةً وثالثةً ورابعةً.. لماذا تتبرّجين؟!.. وعن حجابك تَتَخَلَّين؟!.. ليراك النّاسُ فيُعجبون بك؟.. وينظرون إليك فيثنونَ عليك؟.. ألا فأبشري فقد رءاكِ الله ﷻ، لكن!.. لن تنالي

إعجابَه، وقد أبصرَك الرّبُّ ﷻ، ولكن!.. لن تُمنَحي ثَناءَه .. أمْ أنّ إعجابَ اللّهِ لا يعنِيك، وثناءَه لا يهُمُّك!.. أوَ يُعقل أن يكون رضا الله ﷻ آخرُ ما تفكّرين فيه، وتبحثين عنه؟!..

فاتّقِ اللّه أخيّتي ـ وفّقني اللّه وإيّاك ـ واسمعي إلى ما روت أمُّكِ عائشة رضي الله عنها عن رسول اللّه ﷺ أنَّه قال: « من أرضى اللّه بسخط النّاس، كفاه اللّه النّاس، و من أسخط اللّه برضى النّاس، وكّله اللّه إلى النّاس » . [رواه ابن حبّان في صحيحه وهو في السلسلة الصحيحة]، فأيّ الرّضا تختارين؟.. وأيّ السّخط تجتنّبين وتحذرين؟..

أخيَّتي أفيقي ـ هداني اللّه وإيّاك ـ من هذا السّبات العميق، واحذري من آفات الطّريق، واعلمي أنّ اليوم عملٌ ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل، وأنّك راجعة إلى اللّه، وواقفة بين يدي الإله، وإنّك لا تدرين متى تخترمك المنيّة، وأين يفجؤك الموت، فخذي للموقف أهبته، وللقاء عدَّته، وللسّؤال إجابته، ولا يغُرنَّك باللّه الغرور، فإنّ الحياة مهما تطول فإنّه إلى اللّه ترجع الأمور.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد و على آله وصحبه أجمعين.

هل تسمحين بسؤال



الشيخ

عبد اللطيف

بن هاجس الغامدي

(بتصرف)

احرص على نشر هذه المطوية فإنّ الدال على الخير كفاعله